الفصل الأول
تحقيق النصوص التراثية
مدخل تأسيسي نحو الخصوصية

اتجاهات التأليف في علم تحقيق النصوص التراثية
في التقاليد العربية المعاصرة
دراسة استكشافية للخرائط المعرفية

مداخل أولية:

١/١ في جدوى المنهج الاستكشافي:

تمثل الدراسات الاستشكافية نقطة انطلاق تأسيسية لها وجاهتها ومعقوليتها عند إرادة خدمة حقل معرفي يروم ميلادًا جديدًا. واللجوء إليها في هذه الحالة فرض منهجي، يمنح التخطيط والتوجه إلى المناطق المجدبة قدرًا لا يستهان به من المساعدات والمعونات الحقيقية.

وهذه الدراسة تلوذ بالرؤية الاستكشافية؛ لأنها تتأسس على فرضية تأسيسية، تقرر أن علم تحقيق النصوص في التقاليد العربية المعاصرة في نسخته القائمة منذ جيل الرواد نهض بواجبه، وينتظر تحولًا إستراتيجيًّا في المستقبل، يتوجه إلى نسخة إحيائية جديدة، تستهدف ما يلي:

أولًا: سد الثغرات التي كشف عنها فحص أدبيات تحقيق النصوص التنظيرية لجيل الرواد.

ثانيًا: الدعوة إلى تفريع الفروع المنضوية تحت الحقل المعرفي العلوي: "تحقيق النصوص"؛ لتظهر ثلاثة حقول مستقلة في المعالجات، هي:

أ. فرع دراسة النص، والتقديم له.

ب. فرع لعمليات التحقيق، وإجراءاته وأدواته، ومفايتح التعامل مع النصوص، وقراءتها، وتوثيقها، والتعليق عليها، ومعالجتها، واستكشافها.

ج. فرع للتكشيف وصناعة الملاحق.

وربما ترشح هذا التقسيم ليقبل إضافة أخرى إليه بعد استقرار هذه الفروع الثلاثة المقترحة، من مثل:

أولًا: فرع دراسة مقاصد علم تحقيق النصوص، ووظائفه.

ثانيًا: فرع تأسيسي يتعلق بنظرية تحقيق النصوص، وتأصيل صناعتها وملكتها.

ثالثًا: فرع لتحرير النصوص المحققة وإخراجها، وتصميمها، وضبط قواعده[1].

١/٢ أهداف الدراسة:

وتهدف هذه الدراسة إلى محاولة ترسيم للخريطة المعرفية لأدبيات علم النصوص التراثية في الثقافة العربية المعاصرة، يمكن التوصل من خلالها إلى منح المساعدات للتصورات المستقبلية لهذا العلم، ومسارات تطوير بحوثه ومسائله.

١/٣ حدود البحث:

يتحرك هذا البحث في سياق حدود أربعة، هي:

١,١/٣ الحدود الزمنية، وهي هنا محصورة من بدء ظهور الأدبيات التنظيرية لعلم تحقيق النصوص التراثية في التقاليد العربية المعاصرة، متجاوزين جدل الميلاد الأول بين عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، وعبد السلام هارون، إلى عدِّهما –معًا– البداية المعاصرة، ومتجاوزين سهمة التقاليد الاستشراقية المعاصرة في منجز برجشتراسر، الذي سبق التأليف في الثقافة العربية المعاصرة؛ لاعتبار موضوعي سيظهر بعد قليل.

١,٢/٣ الحدود المكانية، وهي هنا منفتحة، تسعى لاستكشاف الإسهام المعاصر في أية بقعة مكانية.

٣,١/٣. الحدود الموضوعية، وهي هنا متوجهة لفحص الأدبيات التنظيرية لعلم تحقيق النصوص التراثية، متجاوزة الأدبيات التي أخلصت لنقد نصوص تراثية محققة أو منشورة نشرًا نقديًّا، من دون إطار تنظيري تفصيلي.

ويتعلق بالحدود الموضوعية بيان طبيعة المقصود بالتقاليد العربية. ونعني بها ما توافر فيه أمران، هما:

أولا: إنجازه باللسان العربي.

ثانيا: إنجازه من عقل عربي.

وبهذين المعيارين يحسم جزء من جدل الميلاد الأول لأدبيات علم تحقيق النصوص التراثية في الثقافة العربية، باجتماع المعيار اللساني -وهو العربية- والمعيار العقلي -وهو الانتماء للعقل العربي-؛ ذلك أن هذا المعيار حاكم في طبيعة رؤية هذا العلم، وتصوره، وطبيعة غاياته، وهو فرع من طبيعة رؤية هذا العقل العربي للعالم بالأساس.

وهذه الطبيعة -ولا شك- مغايرة لطبيعة العقل الاستشراقي، التي تنعكس على تصوره لهذا العلم وغاياته، وهي طبيعة متمايزة في رؤيتها للعالم بطبيعة الحال.

٤,١/٣ مشكلة الدراسة:

تنطلق هذه الدراسة من وعي مبدئي بلزوم رسم خريطة معرفية لحدود هذا العلم في التقاليد العربية المعاصرة، وهو ما لم يحدث إلى الآن.

وبعيدًا عن الدوافع الشخصية، فإن ثمة دوافع موضوعية تدفع للتقدم نحو هذا البحث، تتمثل في الشعور بمشكلة تتلخص في وجود فراغ حقيقي في دراسات

فحص منجز المنظرين المعاصرين في ميدان علم تحقيق النصوص التراثية، وهو الفراغ المانع من التخطيط لتطوير مباحث هذا العلم في المستقبل.

وكل تقليد علمي يستهدف إعادة إحياء مباحث هذا العلم لا يمكن أن ينجز تقدمًا ملموسًا من دون حل مشكلة مراجعة الأدبيات المنجزة مراجعة علمية نقدية، تستهدف بيان الاتجاهات، ورسم الخرائط المعرفية.

٥,١/٣ أهمية الدراسة ودوافعها:

تتحرك هذه الدراسة مستصحبة نوعًا من الشعور بأهميتها، وهي الأهمية التي يمكن رصد بعض ملامحها فيما يلي:

أولًا: حاجة علم تحقيق النصوص التراثية إلى رسم خريطة معرفية لاتجاهات التأليف فيه.

ثانيًا: الفراغ الحاصل في حقل الدراسات التي تستهدف بيان اتجاهات التأليف في أدبيات علم تحقيق النصوص.

ثالثًا: الإيمان بأن التخطيط المستقبلي لتطوير مسائل هذا العلم ومباحثه لا يمكن إنجازه من دون الانتهاء من فحص الاتجاهات القائمة في التأليف في هذه المباحث.

رابعًا: وجود فراغ حقيقي في هذا الجانب من الدراسات.

٦,١/٣ منهج الدراسة وأدواتها:

تتخذ هذه الدراسة المنهج الاستكشافي Exploratory research منهجًا لها، وهو الذي يقوم على مراجعة الدراسات المنجزة في حقلها، وتعتمد الاستقراء وجمع البيانات، مجتهدة في أن تكون هذه الأداة من النوع التام؛ لتتمكن الدراسة من رسم خريطة معرفية دقيقة لاتجاهات التأليف في علم تحقيق النصوص التراثية في الثقافة العربية المعاصرة.

٣/١,٧ أسئلة الدراسة:

إن هذه الدراسة تسعى إلى تحقيق أهدافها، وفي خلفية حركتها حزمة من التساؤلات؛ بما هي استفهامات تطمح إلى تحقيق الأهداف، من مثل:

أ- ما اتجاهات التأليف في علم تحقيق النصوص التراثية في التقاليد العربية المعاصرة؟

ب- ما حدود ما أنجزه جيل الرواد في فحص مباحث هذا العلم؟

ج- ما حدود ما طورته الأجيال التالية لجيل الرواد؟

د- ما الاتجاهات الإحيائية في التنظير لهذا العلم، التي يمكن استثمارها في تطوير مباحث هذا العلم في المستقبل؟

٣/١,٨ مصطلحات الدراسة:

يظهر في عنوان هذه الدراسة مصطلحات أساسية، تتعامل معها كما يلي:

أولًا: علم تحقيق النصوص التراثية:

تقصد الدراسة بهذا المصطلح: إخراج النص التراثي إلى الحياة المعاصرة مطابقًا لمراد مؤلفه، أو قريبًا منه على نسخ خطية، وإعداده للنشر، وفق تقنيات وعمليات وإجراءات معروفة.

ثانيًا: الاتجاهات:

يستعمل هذا المصطلح المكافئ الترجمي لـ Trends في الدراسة، ويقصد به المسارات والتوجهات التي اختطها أصحاب أدبيات تحقيق النصوص في الثقافة العربية المعاصرة؛ لتكون أقرب لأشكال التأليف المتمايزة.

ثالثًا: التأليف:

يستعمل هذا المصطلح في هذا البحث مرادفًا للتصنيف، الذي يعتمد جمع المادة وتصنيفها، وتحليل معلومات كل مرحلة أو عملية، أو إجراء متبع في هذا العلم.

رابعًا: الدراسة الاستكشافية Exploratory research:

يستعمل هذا المصطلح هنا بمعنى تتبع الدراسات التنظيرية والأدبيات العربية المعاصرة، وجمعها، واستعمالها بهدف استطلاعي، يسعى للكشف عن حدود الاتجاهات التأليفية في هذا المجال.

خامسًا: الخريطة المعرفية:

يقصد بهذا المصطلح في الدراسة: الصورة الكلية لحدود التأليف في هذا العلم، واتجاهاته في الثقافة العربية المعاصرة.

وربما لجأت الدراسة إلى تقديم خريطة إدراكية؛ بما هي أسلوب مستقر في المنهجيات البحثية المعاصرة.

وقد لجأت الدراسة إليها للكشف عن الحدود، والاتجاهات والتراكمات المعاصرة في هذا المجال، ولتمكين القارئ من استجماع الصورة الكلية لهذه الحدود والاتجاهات والتراكمات في يسر وسهولة، تسمح له بمراجعتها عند الاحتياج، وتسمح لمجتمع التخطيط لتطوير علم تحقيق النصوص باستصحابها الدائم.

وتتناول هذه الدراسة –سعيًا لتحقيق هدفها– المطالب التالية:

١/ اتجاهات التأليف في علم تحقيق النصوص التراثية في التقاليد العربية المعاصرة: موجز الخريطة المعرفية.

٢/ اتجاهات التأليف في علم تحقيق النصوص التراثية في التقاليد العربية المعاصرة: تحليل الخريطة المعرفية.

٣/ اتجاهات التأليف في علم تحقيق النصوص التراثية في التقاليد العربية المعاصرة: قراءة في خطاب الوظائف.

وفيما يلي بيان هذه المطالب:

١/ اتجاهات التأليف في علم تحقيق النصوص التراثية

موجز الخريطة المعرفية

في هذا المطلب من الدراسة سنحاول رسم أربع خرائط جزئية، ثم نجمعها في خريطة خامسة، تسمح للعقل العربي المعاصر استجماع صورة عامة كلية لاتجاهات التأليف في علم تحقيق النصوص التراثية في التقاليد العربية المعاصرة:

١/١ الخريطة المعرفية لاتجاهات التأسيس النظري لعلم تحقيق النصوص في التقاليد العربية المعاصرة:

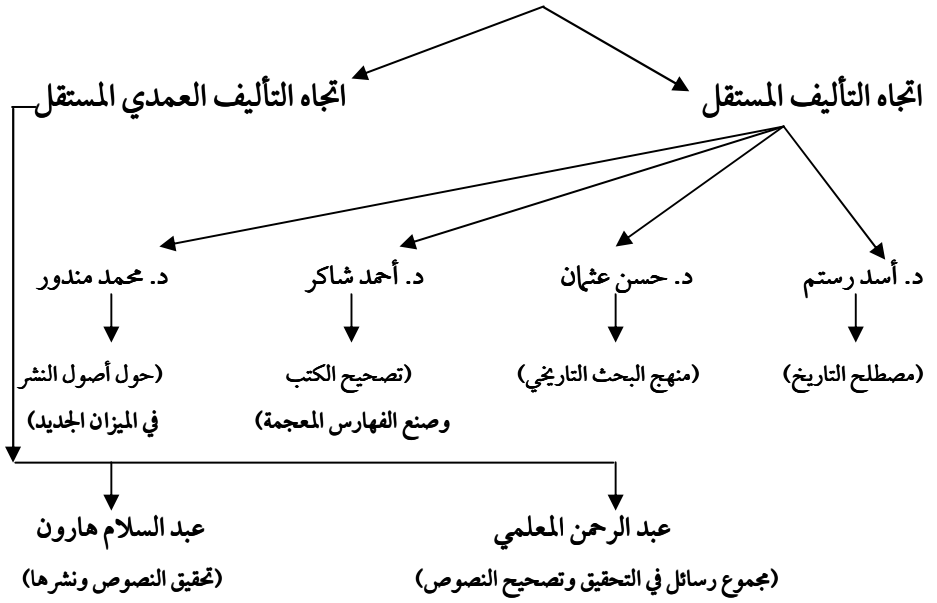

[شكل (١)]

٢/١ اتجاهات التأليف في علم تحقيق النصوص التراثية في التقاليد العربية المعاصرة: في مرحلة الرواد:

١,٢/١ اتجاهات التأليف الاجتراري:

اتجاهات التأليف الاجتراري في علم تحقيق النصوص التراثية
في التقاليد العربية المعاصرة: مرحلة ما بعد الرواد

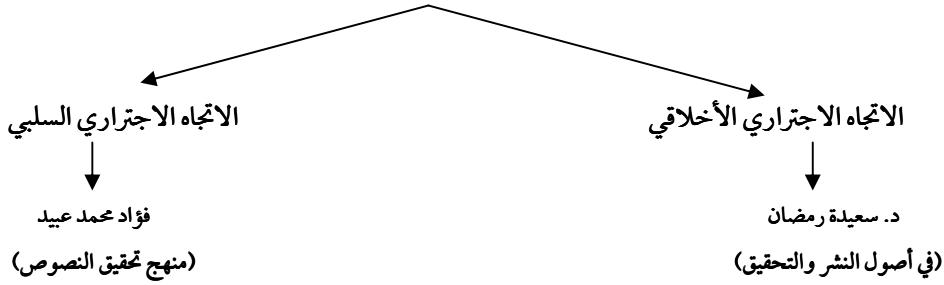

[شكل (٢)].

٢,٢/١ اتجاهات التأليف التجديدي في علم تحقيق النصوص التراثية

في التقاليد العربية المعاصرة: مرحلة الرواد

١,٢,٢/١ اتجاهات التأليف التجديدي الجزئية في علم تحقيق النصوص

اتجاه رعاية الأجناس والتقنيات

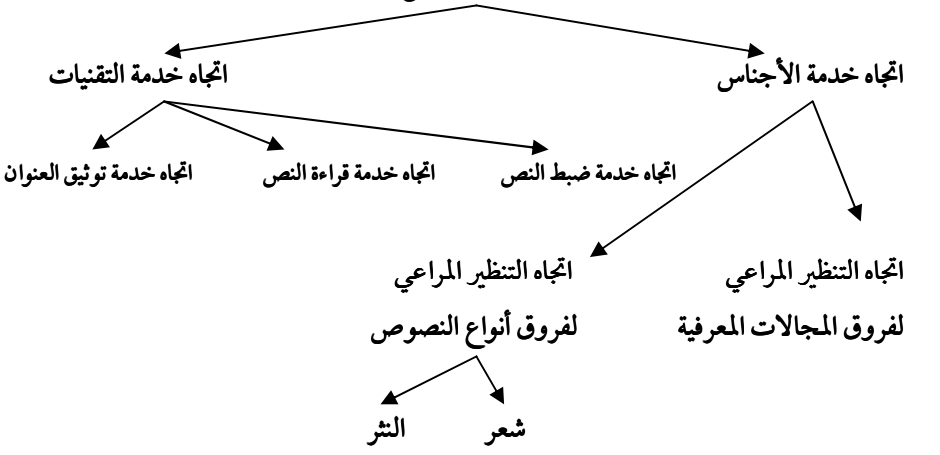

[شكل(٣)]

٢,٢,٢/١ اتجاهات التأليف التجديدي الكلية في علم تحقيق النصوص:

من التأصيل إلى التقييس:

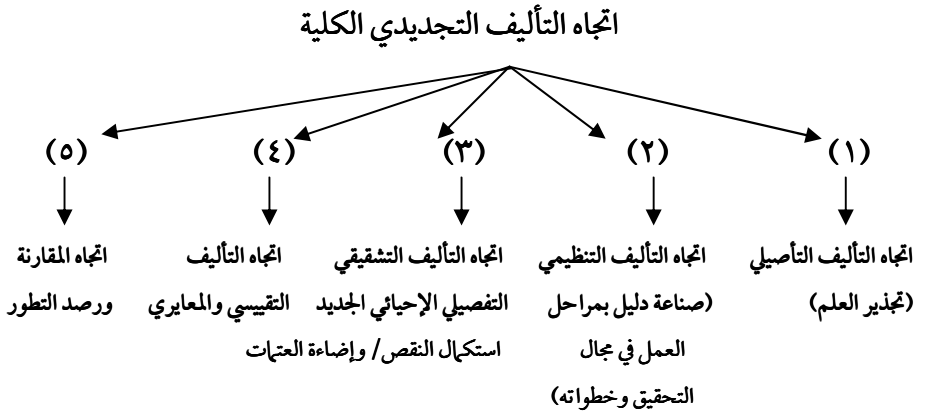

[شكل (٤)]

٣,٢./١ خريطة عامة للاتجاهات

اتجاهات التأليف في علم تحقيق النصوص التراثية

في التقاليد العربية المعاصرة: خريطة معرفية جامعة

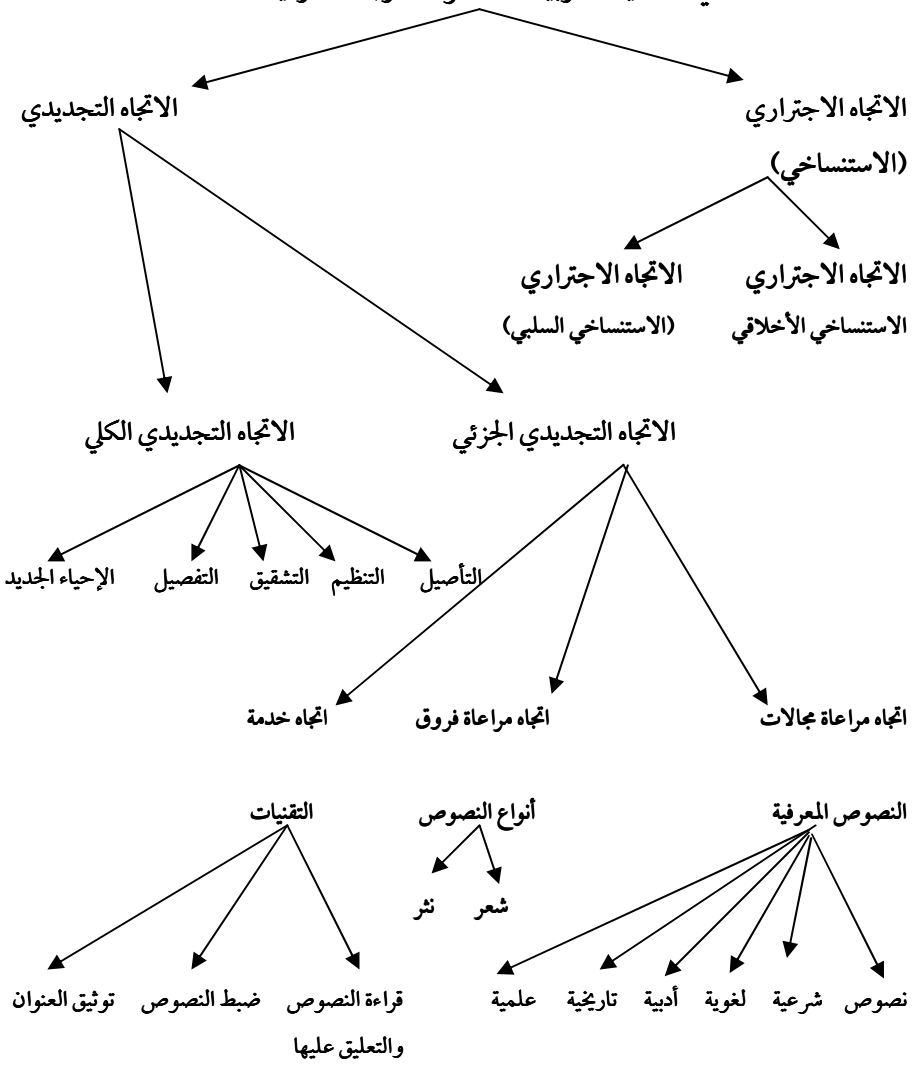

[شكل(٥)]

٢/ اتجاهات التأليف في علم تحقيق النصوص في التقاليد العربية المعاصرة: دراسة استقرائية

في المطلب السابق حرصت هذه الدراسة على رسم مجموعة من الخرائط المعرفية، تستهدف إعانة العقل المعاصر على استجماع الصور الكلية لاتجاهات التأليف في علم تحقيق النصوص التراثية في الثقافة العربية المعاصرة.

واللجوء للمشجرات في خطاب الأنساق التأليفية مسألة قديمة جدًّا في تاريخ أنساق التأليف في التراث العربي من عدة جهات، منها:

أولًا: استقرارها وشيوعها بين المشتغلين بالعلم في التراث العربي.

ثانيًا: استقرار مصطلح "المشجر" مرادفًا للخريطة المعرفية أو الإدراكية في التراث العربي.

ثالثًا: وجود نماذج تأليفية كاملة اعتمدت هذا النسق التأليفي في التراث العربي، ولاسيما في نصوص التراث العلمي التجريبي، كالطب وغيره.

ومما يدل على ذلك النص الذي رواه ياقوت الحموي في (معجم الأدباء [١٤٨/٦][٢]) في ترجمة إسماعيل بن الحسين بن جعفر الصادق المروزي ت٦٠٦هـ، يقول: "حدثني عزيز الدين (إسماعيل بن الحسين) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال: ورد الفخر الرازي إلى مَرْوَ، وكان من جلالة القدر، وعظم الذكر، وضخامة الهيبة، بحيث لا يراجع في كلامه، ولا يتنفس أحد بين يديه لإعظامه، على ما هو مشهور متعارف، فدخلت إليه، وترددت للقراءة عليه، فقال لي يومًا: أحب أن تصنف لي كتابًا لطيفًا في أنساب الطالبين؛ لأنظر فيه، فلا أحب أن أكون جاهلًا به. فقلت: أتريده مشجرًا أم منثورًا؟ فقال: ***المشجر*** لا ينضبط بالحفظ، وأنا أريد شيئًا أحفظه: فقلت: السمع والطاعة، ومضيت وصنفت له الكتاب"!

والشاهد في هذا النص هو استقرار مصطلح: "المشجر" من جانب، واستقرار هذا النسق التأليفي من جانب آخر في منهجيات التأليف العلمي في التراث العربي؛ مما يجعل من استحيائه في الدراسات المعاصرة أمرًا مشروعًا بامتياز.

ومما يدل على استقراره في أنساق التأليف ما ورد إلينا من مؤلفات تأسست على استثمار المشجرات والخرائط المعرفية الإدراكية، من مثل: مخطوطة شجرة الطب لأحمد الحيائي الطبيب بن محمد القرشي، وتاريخ نسخها ٩١٧هـ، ومنه نسخة خزائنية نفيسة مذهبة، كتبت للسلطان العثماني بايزيد خان، وهي بخط مؤلفها.

وقد نشرها الدكتور محمود مهدي، وعلق عليها الدكتور فوزي جاب الله بمركز تحقيق التراث العربي، بجامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا، بالقاهرة ٢٠١٤م.

وفي هذا المطلب من البحث نستقري الاتجاهات، وما يمثلها من الأدبيات التي أنجزها المنظرون العرب المعاصرون في مجال بيان قواعد علم تحقيق النصوص، وتقنياته وإجراءاته، موزعة على هذه الاتجاهات جميعًا.

١/٢ اتجاه التأسيس في التأليف
في علم تحقيق النصوص التراثية في التقاليد العربية المعاصرة

يمكن أن نقرر أن أشكال العناية بتأسيس هذا الاتجاه التأليفي في التنظير لعلم تحقيق النصوص في التقاليد العربية المعاصرة مر بمرحلتين، هما:

أولًا: مرحلة التأليف التأسيسي غير المستقل.

ثانيًا: مرحلة التأليف التأسيسي العمدي المستقل.

وفيما يلي بيان كل مرحلة منهما، وبيان الأدبيات التي تكشف عن ظهورهما، وافتتاح نشاطهما.

١.١/٢ الاتجاه التأسيسي غير المستقل:

تمثل كتابات الدكتور أسد رستم، والدكتور حسن عثمان، والشيخ أحمد شاكر، والدكتور محمد مندور ما يمكن أن نعده بداية لظهور الاتجاه غير المستقل في العناية بقواعد علم تحقيق النصوص في أصوله وتقنياته وإجراءاته.

وما جعلها تأسيسًا غير مستقل يرجع إلى أنها لم تكن مقصودة لذاتها من جانب، ولم تكن وافية مستوعبة لمسائل هذا العلم من جانب آخر.

فقد ظهر كتاب أسد رستم (مصطلح التاريخ) في سياق البحث عن منهجية عربية لعلم مناهج البحث، وظهر كتاب حسن عثمان (منهج البحث التاريخي)، وما تضمنه من أصول وقواعد، تقع في القلب من علم تحقيق النصوص لأغراض خدمة منهجية البحث التاريخي، وقراءة الوثائق، وظهرت كتابات أحمد شاكر: تصحيح الكتب ووضع الفهارس؛ لتعالج *جزءًا* من أصول هذا العلم، وظهرت كتابات الدكتور محمد مندور في سياق نقدي، تتبع النشرة النقدية التي أنجزها الدكتور عزيز سوريال لكتاب (قوانين الدواوين)، للوزير الأسعد بن مماتي.

وهذه الأربعة المنجزات تمثل –بحق– بداية توطين أصول تحقيق النصوص في الثقافة العربية المعاصرة من باب غير مباشر، وربما من باب لم يقصد إلى تأسيس التنظير لقواعد هذا العلم وإجراءاته، وتسلسل ظهورها الزمني كما يلي:

١. ١٩٣٧م: تصحيح الكتب وصنع الفهارس، لأحمد شاكر، كانت مقدمة لتحقيقه سنن الترمذي[٤].

٢. ١٩٣٩م: مصطلح التاريخ، للدكتور أسد رستم.

٣. ١٩٤٣م: منهج البحث التاريخي، للدكتور حسن عثمان، ولاسيما الفصول من الثالث إلى الثامن، التي تبدأ من جمع الأصول.

٤. ١٩٤٤م: حول أصول النشر، للدكتور محمد مندور، وكانت في الميزان الجديد (ص ص ١٧٢-١٨٢)؛ يقول في مفتتحها: "ليس من شك في أن أول عمل للناشر هو: (١) جمع المخطوطات المختلفة. وهذه عملية مادية تنتهي ... ب (٢) استنساخها، وبعد ذلك (٣) تبدأ عملية تسلسل المخطوطات: Filiation des texts [ترتيب منازل النسخ].

وهذه العملية هي الأساس لشكل نشر علمي صحيح (= تحقيق النصوص)".

وقد قصدنا من وراء نقل هذا النص الدلالة على ما قررناه بشأن هذا النص التأسيسي، الذي يقع في الصميم من حقل ما سوف يتعارف عليه باسم: تحقيق النصوص.

٥. ١٩٥١م: قواعد تحقيق نصوص التاريخ، المجمع العلمي العربي بدمشق، جاءت مقدمة لتحقيق تاريخ مدينة دمشق.

والحقيقة أن هذه المحالاوت الأربعة -مع استثناء قليل في مساواة عمل أسد رستم وأحمد شاكر بالأعمال الأخرى- ظهرت متأثرة بالتقاليد الاستشراقية، مع عناية خاصة بالتقاليد الاستشراقية الفرنسية والألمانية تعيينًا.

وهو الأمر الذي يظهر من تحليل أمرين ظاهرين جدًّا في هذه الكتابات، هما:

أولًا: تحليل خطاب المصادر التي اعتمدت عليها هذه الأدبيات في المجمل، مع تقدير تميز عمل أسد رستم في هذا الجانب.

ثانيًا: تحليل خطاب الجهاز الاصطلاحي، ولا سيما في عمل: د. حسن عثمان و د. محمد مندور تعيينًا.

وهذه النقطة ستكون الدافع وراء ظهور اتجاه تأصيلي، يستهدف مراجعة أصول علم تحقيق النصوص على ما أنجزه العلماء العرب المسلمون في تاريخ العلم في التراث العربي، على ما سيأتي.

وربما مثلت المقدمة التي وضعتها لجنة مجمع دمشق في مقدمة تحقيق تاريخ مدينة دمشق (١٩٥١م) بداية لاتجاه من الاتجاهات التجديدية بعد، سنسميه اتجاه التقييس.

١.٢/٢ الاتجاه التأسيسي المستقل:

تمثل كتابات عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، وعبد السلام هارون، النطاق التأسيسي لأدبيات التنظير لعلم تحقيق النصوص في التقاليد العربية المعاصرة، بمحدد زمني ظاهر من جانب، وبمحدد يستوعب مسائل العلم وقضاياه من جانب آخر.

غبر المجتمع العلمي العربي يرى في منجز عبد السلام هارون التنظيري، المتمثل في كتابه (تحقيق النصوص ونشرها) – أول عمل علمي في الباب؛ بموجب ما قرره هو نفسه في مقدمة طبعته الأولى، حين قال: "هو أول كتاب عربي يظهر في عالم الطباعة معالجًا هذا الفن العزيز: فن تحقيق النصوص ونشرها"!

وهي العبارة الدقيقة التي تحرفت على غلاف طبعاته جميعًا لتكون: "أول كتاب عربي في هذا الفن يوضح مناهجه ويعالج مشكلاته".

والحقيقة أن هذه المسألة باتت في حاجة إلى المراجعة من جانبين، هما:

أولًا: سبق جوتهلف براجشتراسر بوضع محاضراته في الفن نفسه سنة ١٩٣١م.

ثانيًا: ظهور كتاب عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني في التحقيق والتصحيح العلمي للنصوص، الذي أثبت فيه مؤلفه الفراغ منه يقينًا قبل ١٩٥١م، إن لم يكن

قبل ذلك بمدة؛ يقول محمد أجمل الإصلاحي (ص ٩): "وتبين أن رسائل الشيخ هذه من أول ما كتب باللغة العربية في فن التحقيق، وأن الشيخ المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ***أول*** عالم أفرد كتابًا في أصول هذا الفن"[٤].

وفحص هذه الدعاوى مفض إلى تقرير ما يلي:

أولًا: أولية عمل براجشتراسر، بتحكيم المحدد اللساني الذي أنجز به كتابه؛ فقد وضع محاضراته بالعربية.

ثانيًا: أولية عمل المعلمي بتحكيم المحدد اللساني والعرقي، بما أن عمل المعلمي بالعربية، وهو عربي.

ثالثًا: أولية عمل عبد السلام هارون بتحكيم المحدد اللساني والعرقي والاستيعابي لمسائل العلم في التصور المعاصر بحدوده المستقرة؛ فهو كتاب بالعربية، ومؤلفه عربي، استوعب في الكتاب القواعد والأصول والإجراءات.

أما كتاب المعلمي، فيقول محققه: (ص ٩): "ورسالته المبيضة مع ***عدم تمامها*** قد عالجت المسائل التي هي لب الموضوع وصميمه معالجة علمية دقيقة منظمة".

وفيما يلي بيان بالتسلسل الزمني لظهور هذه الأدبيات الثلاثة:

١. ١٩٣٢م: أصول نقد النصوص (= تحقيق النصوص) ونشر الكتب.

٢. ١٩٥١م: أصول التصحيح العلمي (= التحقيق العلمي)، لعبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني.

٣. ١٩٥٤م: تحقيق النصوص ونشرها، لعبد السلام هارون.

٤. ١٩٥٥م: قواعد تحقيق النصوص، للدكتور صلاح الدين المنجد.

وتحليل هذه الأدبيات الثلاثة الأخيرة تكشف عن مجموعة من الملامح المهمة، هي:

أولًا: استقلال التأليف في قواعد تحقيق النصوص بأدبيات خاصة؛ قصد بها التنظير لقواعده وأصوله ومبادئه.

ثانيًا: استمرار التأثير المباشر للتقاليد الاستشراقية في منجز العرب المعاصرين، وهو ما يظهر من تأثر عمل صلاح الدين المنجد بالتقاليد الاستشراقية الذي يقول (ص ٨): "إن هذه القواعد التي نقدمها غايتها توحيد طرق النشر والتعريف به. وقد استقيناها من نهج المستشرقين الألمان، ومن خطة جمعية غيوم بوده (الفرنسية) ومن قواعد المحدثين القدامى في ضبط الروايات، ومما نشر في هذا الموضوع من قبل"(٥).

ثالثًا: بدء ظهور علامات على اتجاه التأصيل بتوثيق بعض أصول هذا العلم وقواعده من الأصول المتوافرة في كتابات المحدثين المسلمين في علم أصول الحديث وغيره.

٢/٢ اتجاهات ما بعد التأسيس
في التأليف في علم تحقيق النصوص التراثية في التقاليد العربية

يمكن التأريخ لمرحلة ما بعد أدبيات جيل الرواد، والتأسيس بمنجز التنظير لعلم التحقيق مع العام ١٩٧٠م، وعلى وجه التعيين بظهور عمل الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ): مقدمة في المنهج [القاهرة ١٩٧١م].

وقد غلب على اتجاهات هذه المرحلة -التي يمكن أن تمثل امتدادًا طبيعيًّا لمرحلة جيل التأسيس- بصورة ما من الصور حتى بداية القرن الحادي والعشرين، أي على حدود سنة ٢٠٠٠م؛ وهو العام الذي يمكن عده بداية مرحلة جديدة، يصح أن نطلق عليها مرحلة التأسيس الثاني للتنظير لقواعد علم التحقيق النصوص في الثقافة العربية المعاصرة، ويبدو أنها ستستغرق مدة زمنية طويلة حتى تؤتي ثمارها

المنشودة، - التفصيل لما جاء مجملًا في التأسيس الأول، وإضاءة ما جاء معتمًا، واستقلال ما يمكن أن يستقل من فروع ذلك التأسيس السابق.

وفيما يلي استقراء لاتجاهات التأليف في علم تحقيق النصوص في مرحلة ما بعد جيل الرواد والتأسيس المعاصر، وهذا الاستقراء حريص على تقسيم هذه الاتجاهات بصورة متمايزة، وحريص على رصد الأدبيات التي تمثل كل اتجاه بعينه.

١.٢/٢ اتجاه الاجترار والتقليد:

يقوم هذا الاتجاه -بصورة أساسية- على إعادة استنساخ منجز عبد السلام هارون تعيينًا من دون إضافات تذكر، ويمثله اتجاهان فرعيان، هما:

١,١,٢/٢ اتجاه الاجترار والتقليد الأخلاقي.

٢,١,٢/٢ اتجاه الاجترار والتقليد السلبي.

وفيما يلي بيانهما:

١.١.٢/٢ اتجاه الاجترار والتقليد الأخلاقي:

كان لإدراج مقرر (تحقيق النصوص) في بعض الجامعات المصرية تعيينًا أثره في ظهور الحاجة إلى أدبيات تلبي احتياجات الدارسين. وقد أثمر ذلك، فظهرت أدبيات لاذت بمنجز جيل التأسيس، واعتمدت عليه اعتمادًا شبه كامل في إعداد أعمال تلبي هذه الاحتياجات التدريسية.

ومن هذه الأدبيات التي لاذت بمنجز عبد السلام هارون فاستنسخته تقريبًا، مع عزو ما نقلته منه إليه بصورة أخلاقية أمينة، عمل الدكتوره سعيدة رمضان في كتابها (في أصول النشر والتحقيق [الإسكندرية ١٩٨٧م])، تقول (ص ٧): "وهذه المحاولة التي تقدمها مسبوقة بجهود العديد من العلماء المتبحرين في علم التحقيق. ولا نزعم أننا سعينا لمباراتهم، وكل ما في الأمر أننا قرأنا آراءهم في عناية، وعنَّ لنا

أن نديم التأمل في القضية على ضوء ما قرأنا من أصول، واستنادا إلى ما اطلعنا عليه من الكتب المختلفة في تحقيق النصوص".

وقد ظهر من تحليل الاستشهادات المرجعية في الكتاب اعتمادها على كل من:

أ. برجشتراسر.

ب. عبد السلام هارون.

ج. صلاح الدين المنجد.

د. مقدمة تحقيق الشفا للدكتور إبراهيم مدكور.

هـ . عبد المجيد دياب.

و. مطاع الطرابشي.

ز. بشار عواد معروف.

وكان برجشتراسر وعبد السلام هارون أكثر عالمين اعتمدت عليهما الدكتوره سعيدة رمضان بمعيار كثافة الاستشهاد من كتابيهما.

٢.١.٢/٢ اتجاه الاجترار والتقليد السلبي:

من جهة أخرى ظهر اتجاه آخر سلبي في سياق هذا الاجترار والتقليد، والمقصود بالسلبي هو استنساخ عمل جيل التأسيس دون العناية بالتوثيق والعزو بصورة دقيقة مفصلة، ومن دون أية معالجات معتمدة على منهجية واضحة.

ويمثل هذا الاتجاه السلبي كتاب (منهج تحقيق النصوص)، للأستاذ فؤاد عبيد، مدير دائرة المكتبات والمخطوطات، بفلسطين [وزارة الثقافة، القدس، ٢٠١٣م]، يقول (ص ١٣): "فبعد الاطلاع على الجهود العراقية في إحياء التراث والمنهج المتبع لدى العلماء في الجامعات العراقية ... وبعد الاطلاع على جهود العلماء المصريين .. وبعد قراءة الجهود الأخرى -ابتداء من كتابات برجشتراسر وروزنتال وكتابات الدكتور

صلاح الدين المنجد، وغيرهم من العلماء المحدثين – جاء هذا البحث مستفيدًا من تلك الكتابات؛ لوضع منهج واضح للباحثين في الجامعات في فلسطين"!.

إن هذا النقل يكشف عما يلي:

أولًا: الغايات التعليمية والتدريسية لهذه الأدبيَّة.

ثانيًا: الإقرار باعتمادها على منجز الأدبيات السابقة عليها.

ثانيًا: الاختلاط في رصد الأدبيات السابقة، مبتدئًا بمنجز العراقيين، وقد كان حق المنجز المصري أن يذكر أولًا، إن كان مقصوده المنجز العربي المعاصر، أو أن يذكر المنجز الاستشراقي أولًا إن كان مقصوده التأريخ المعاصر لأدبيات التنظير لعلم تحقيق النصوص في الثقافة العربية المعاصرة.

إن هذا الكتاب مقال لمنهجية الاستنساخ من دون العناية التفصيلية الدقيقة بعزو المنقول من المصادر التي سبقته في هذا المجال.

والحقيقة أن هذا الاتجاه، وإن مثل إلى الآن الاتجاه الشائع في التأليف في هذا الحقل المعرفي، فإنه بدأ في الانحسار مع بداية ظهور أدبيات جيل الإحياء الجديد.

٢.٢/٢ اتجاه التجديد والإحياء في التأليف في علم تحقيق النصوص في جيل ما بعد التأسيس والريادة:

يعد اتجاه التجديد والإحياء الذي أخذت أدبياته في الظهور والتنامي النسبي مع نهايات العقد الأول من الألفية الثالثة ٢٠١٠م وما بعدها – هو المهيمن الآن على خريطة التأليف في علم تحقيق النصوص التراثية.

وكانت ثمة أمارات في اتجاه التقليد والاجترار والاستنساخ، تنبئ عن شعور عام ساذج بحاجة علم تحقيق النصوص إلى التطوير في التنظير له، وظهرت مجموعة

من العلامات الكاشفة عن هذه الشعور، لكنها كانت علامات فردية، متناثرة، جاءت في صورة إشارات عابرة في الأدبيات هذه.

ومن هذه الإشارات العابرة:

أ. ظهور التفرقة بين إجراءات التحقيق على أساس من إدراك الفروق بين أنواع النصوص من جهة الفن القولي؛ نثرًا وشعرًا، كما في عمل الدكتور نوري حمودي القيسي.

ب. ظهور نوع عناية بتأصيل بعض أصول العلم وإجراءاته وجهازه الاصطلاحي من المصادر التراثية، ولا سيما مصادر علم أصول الحديث.

ج. ظهور نوع عناية بحاجة مسائل هذا العلم إلى التنظيم بصورة ما.

د. ظهور سهمة بعض المؤسسات بصورة مستترة في إرادة توحيد قواعد تحقيق النصوص.

وقد اتخذ هذا الاتجاه التجديدي مسارات ظاهرة، تمثلها الاتجاهات الفرعية التالية:

١,٢,٢/٢ اتجاه التجديد والإحياء الجزئي (غير المستوعب).

٢,٢,٢/٢ اتجاه التجديد والإحياء الكلي (المستوعب).

٣,٢,٢/٢ اتجاه التجديد والإحياء التقييسي (المعايري).

وفيما يلي بيان لهذه الاتجاهات الفرعية تستهدف استقراء المنجز، ورصد حدوده:

٢.٢./٢ اتجاه التجديد الجزئي:

وهذه الإشارات العابرة أخذت وقتًا حتى أفرزت اتجاهات التجديد والإحياء الثاني في العصر الحديث في الثقافة العربية.

١.٢.٢/٢ الاتجاه التجديدي الإحيائي الجزئي:

كانت هذه الإشارات السابقة خطوة على طريق ظهور تيارين جديدين على خريطة التأليف في علم تحقيق النصوص في التقاليد العربية المعاصرة، هما:

أولًا: اتجاه التجديد التأليفي من منظور فروق الأجناس بين النصوص:

أ. اتجاه التنظير الذي يراعي فروق أنواع النصوص.

ب. اتجاه التنظير الذي يراعي فروق الحقول المعرفية أو (تصنيف العلوم).

ثانيًا: اتجاه التجديد التأليفي من منظور خدمة تقنيات التحقيق ومعالجة النصوص.

أ. اتجاه التنظير لخدمة ضبط النصوص والتعليق التعليلي عليها.

ب. اتجاه التنظير لخدمة قراءة النصوص، وطلب صحتها.

ج. اتجاه التنظير لخدمة توثيق النصوص وتوثيق عنواناتها.

وفيما يلي تحليل لهذه الاتجاهات التجديدية الجزئية:

(أولا)

اتجاه مراعاة فروق الأجناس بين النصوص

لا شك أن ثمة ملاحظات فرطت من أصحاب الأدبيات السابقة، كانت توحي بوجود فروق بين النصوص التراثية من جانبي نوع النص أجناسيًّا (نثرًا أو شعرًا)، ونوع حقله المعرفي تصنيفيًّا (شرعيًّا أو عربيًّا أو حكميًّا علميًّا).

وقد تراكم هذا الشعور فولَّد اتجاهين فرعيين من اتجاهات التجديد والإحياء، أنتجا أدبيات تنظيرية، وجهت اهتمامها بصورة مكثفة لخدمة هذه الفروق في علم تحقيق النصوص.

وهذان الاتجاهان هما:

أ. اتجاه التأليف في خصوصية تحقيق النصوص الشعرية والنثرية.

ب. اتجاه التاليف في خصوصية تحقيق النصوص تبعًا لحقولها المعرفية.

(١/أ) اتجاه رعاية خصوصية تحقيق النصوص الشعرية:

ظهرت محاولات تنظيرية، تلبثت أحيانًا بنطاق تطبيقي موجز، استهدفت بيان خصوصية تحقيق النصوص الشعرية في مواجهة النصوص النثرية، ومن هذه المحاولات:

١. ١٩٧٥م: تحقيق الشعر ونشر الدواوين، للدكتور نوري حمودي القيسي، ضمن كتاب: منهج تحقيق النصوص ونشرها [جامعة بغداد، العراق، بغداد ١٩٧٥م].

٢. ٢٠٠٣م: تحقيق الشعر: أسس عامة وخلاصة تجربة، للدكتور حاتم صالح الضامن.

وفي هذا السياق بدأت تظهر مجموعة أخرى من المحاولات التأليفية التنظيرية، التي استثمرت الكتابات في هذا الاتجاه التجديدي، القائم على إدراك خصوصية تحقيق النصوص الشعرية، هذه المحاولات جميعًا تنبهت إلى مطالب الأوزان، وما تفرضه من أمور عند قراءة النصوص وضبطها وتوثيقها.

(٢/١) اتجاه رعاية خصوصية تحقيق النصوص النثرية:

في مقابل الاتجاه الفرعي السابق ظهرت أدبيات وجهت رعايتها لبيان خصوصية تحقيق النصوص النثرية، في مواجهة ما تمتعت به النصوص الشعرية من خصوصية.

ومن الأدبيات التي توجهت إلى هذا:

- ١٩٧٥م: تحقيق النثر للدكتور سامي مكي العاني، ضمن كتاب: تحقيق النصوص ونشرها [جامعة بغداد، العراق، بغداد ١٩٧٥م].

(ب) اتجاه التأليف في خصوصية تحقيق النصوص تبعًا للحقول المعرفية:

كان لاستقرار تصنيف العلوم في التراث الإسلامي في دوائر بعينها -هي: علوم الشريعة أو علوم الغايات، وعلوم العربية أو علوم الآلات، وعلوم الحكمة أو علوم اليونان- أثره في ظهور اتجاه تأليفي في التنظير لعلم تحقيق النصوص ينطلق من إدراك خصوصية هذه الحقول المعرفية.

وقد كان الفضل في ذلك -حقيقة- للمؤسسات المشتغلة بحفظ التراث، ودراسته، وكان معهد المخطوطات، ومؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي أهم مؤسستين تنبهتا إلى هذه الخصوصية، وتوجهت لخدمتها برعاية استكتاب طائفة من المشتغلين بتحقيق النصوص تبعًا لفروق ما تفرضه الحقول المعرفية المختلفة.

وقد ظهر في هذا الاتجاه أدبيات نوردها وفق التسلسل الزمني التالي:

١. ١٩٩٩م: تحقيق مخطوطات العلوم في التراث الإسلامي (الفلك/ والرياضيات/ والطب) [مؤسسة الفرقان، لندن، المملكة المتحدة].

٢. ٢٠٠٠م: التراث العلمي العربي: مناهج تحقيقه وإشكلات نشره [معهد المخطوطات العربية، القاهرة].

٣. ٢٠١٤م: تحقيق المخطوطات الإسلامية في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية [التصوف/ والجغرافيا / وعلم الكلام/ والتاريخ) [مؤسسة الفرقان/ لندن].

٤. ٢٠١٥م: تحقيق مخطوطات الفقه وأصوله والفتاوى والنوازل [مؤسسة الفرقان، لندن].

٥. ٢٠١٦م: تحقيق مخطوطات علوم القرآن: الأصول والقواعد والمشكلات [علوم القرآن/ والتفسير/ والقراءات) [مؤسسة الفرقان، لندن].

٦. ٢٠١٦م: تحقيق مخطوطات العلوم الشرعية وعلم الكلام، (الحديث/ والفقه/ والفلسفة/ وعلم الكلام) [مؤسسة الفرقان، لندن].

٧. ٢٠١٦م: تحقيق المخطوطات الأدبية واللغوية [مؤسسة الفرقان/ لندن].

إن تحليل أدبيات هذا الاتجاه –التي يبدو عليها نوع تنام وثراء– يكشف عن احتمالات استقلال في المستقبل، يفضي إلى ظهور نظريات خاصة في تحقيق النصوص التراثية، تبعًا للحقول المعرفية المتمايزة على مستوى التقنيات والعمليات، والإجراءات، والمكملات وغيرها.

وهذه النبوءة مرجعها إلى أمرين، هما:

أولًا: تنامي ظهور نشرات نقدية أو تحقيقات علمية لعدد من النصوص في كل حقل معرفي متمايز.

ثانيًا: رعاية المؤسسات المعنية بدراسات التراث وتحقيقه ونشره.

وفحص هذه الأدبيات يكشف عن حاجة عدد من الحقول المعرفية للعناية، ولاسيما بعد نشر عدد من نصوصها التراثية محققة، من مثل الحقول التالية:

أ- حقل الكتابات الهندسية في تراث العرب المسلمين.

ب- حقل إنباط المياه.

ج- حقل النصوص الجغرافية المتضمنة لصور الأرض والمتضمنة لنماذج من الخرائط.

هـ- حقل نصوص الآداب الشعبية.

و- حقل نصوص العمارة والآثار.

والاستقراء المتأني الدقيق يكشف عن وجود بوادر، توجهت لبيان ما تحتاج إليه بعض النصوص التراثية من عناية عند تحقيقها؛ بسبب من الوعي بخصوصية انتمائها المعرفي، من مثل ما كتبه الدكتور سليمان قطاية عن: تحقيق المخطوطات الطبية ونشرها [مجلة معهد المخطوطات، مج ٢٩ ج١ يناير – يونيه ١٩٨٥م]، وما كتبه الدكتور عبد الحميد يونس عن خصوصية تحقيق نصوص الأدب الشعبي التراثية، وما كتبه الدكتور حسن باشا عن تحقيق النصوص في كتابه: قاعة بحث في العمارة والفنون الإسلامية (ص ٣١٩).

(ثانيًا): اتجاه التأليف التجديدي في علم تحقيق النصوص من منظور خدمة تقنيات التحقيق ومعالجة النصوص:

كانت تجليات هذا الاتجاه التجديدي الجزئي أوسع اتجاهات التأليف التجديدي في علم تحقيق النصوص في الثقافة العربية المعاصرة، فقد توزع على الاتجاهات الفرعية التالية:

أ. اتجاه التأليف والتنظير في تقنية ضبط النصوص والتعليق التعليلي عليها.

ب. اتجاه التأليف والتنظير في تقنية قراءة النصوص، وطلب صحتها.

ج. اتجاه التأليف والتنظير في تقنية توثيق النصوص وتوثيق عنواناتها.

(أ)

كان التنظير في خدمة تقنية ضبط النصوص والتعليق عليها من أسبق اتجاهات التجديد الجزئية في حقل علم تحقيق النصوص في الثقافة العربية المعاصرة، فقد نشر عملان كاشفان عن هذا الذي نقرره، هما:

١. ١٩٧٢م: ضبط الشعر لمحمد عبد الغني حسن، في مقالته: ضبط الشعر وإقامة أوزانه ومعانيه في المخطوطات التي لم تنشر [مجلة معهد المخطوطات، مج ١٨ ج١، ص ١٥٩-١٨٧].

٢. ١٩٨٢م: ضبط النص والتعليق عليه، للدكتور بشار عواد معروف [مؤسسة الرسالة، بيروت].

(ب)

كما مثلت قراءة النصوص تقنية أو عملية أساسية في أدبيات تحقيق النصوص التراثية في الأدبيات المعاصرة في التقاليد العربية في الإحياء الأول رشح لظهور أدبيات مستقلة تعني بتصورها، وأصول النهوض بها، وإجراءاتها وتجلياتها التطبيقية ووسائل التهدي لها، ومن هذه الأدبيات:

١. ١٩٩٤م: قراءة النصوص التراثية: إشكاليات وضوابط [منشورات جامعة قار يونس، ليبيا].

٢. ٢٠٠٦م: نحو منهج في قراءة النص وتحقيقه، للدكتور عبد العزيز محمود الديب، [مجلة معهد المخطوطات، مج ٥٠، ج١، ٢، ص ١٤٣]، وهذه المقالة خالصة لتعقب أخطاء وأوهام عدد من النصوص، لكن المثير فيها التنبه لتقنية القراءة في العنوان.

٣. ٢٠٠٩م: كيف نقرأ النص التراثي؟ وبيان أثر العروض في ضبطه وتحقيقه، للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف [مكتبة البخاري، القاهرة].

(ج)

كما مثلت تقنية التوثيق عملية أساسية في التصور المعاصر للتحقيق في أدبيات جيل التأسيس، واستقر تمامًا منذ كتاب عائشة عبد الرحمن: مقدمة في المنهج (١٩٧١م).

وهذا الاستقرار مهد الطريق لظهور الأدبيات التجديدية، التي توجهت عنايتها لتحرير أصول هذه العملية، وضبط قواعدها.

١. ١٩٨٣م: ومن هذه الأدبيات توثيق النصوص، ضمن كتاب: مزالق في طريق البحث اللغوي والأدبي وتوثيق النصوص، للدكتور عبد المجيد عابدين [دار جامعة الخرطوم، السودان].

٢. ١٩٩٠م: في تحقيق نسبة الكتاب وتوثيق عنوانه، للدكتور رمضان عبد التواب [مج ٣٤، ج١ مجلة معهد المخطوطات، ص ٧-٢٤].

٣. ٢٠١٣م: توثيق النصوص، للدكتور عبد الله محمد حسن، ضمن كتابه: جهود علماء الحديث في توثيق النصوص، وضبطها [وزارة الأوقاف الكويتية، كتاب الوعي الإسلامي الإصدار ٦٤].

٤. ١٤١٩هـ: العنوان الصحيح للكتاب، للدكتور الشريف حاتم العوني [مكة المكرمة].

٥. ٢٠٠١م: مشكلة العنوان، للدكتور عابد سليمان الشوخي، الفصل الثاني من كتابه: المخطوطات العربية: مشكلات وحلول [مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض].

٦. ٢٠١٥م: العنوان: حقيقته وتحقيقه في الكتاب العربي المخطوط، للدكتور عباس أحمد أرحيلة [دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن].

إن هذه الاتجاهات الفرعية الثلاثة للتأليف التجديدي في التنظير لعلم تحقيق النصوص التراثية المعاصرة في التقاليد العربية، اتخذت خطوات واسعة في تفصيل ما كان مجملًا من قواعد هذه العمليات المهمة للغاية في تحقيق النصوص التراثية.

وثمة أدبيات أقل تبشر بظهور أنماط أخرى تجديدية، تتوجه لتقنيات وعمليات أخرى، من مثل:

- مقاييس توثيق الشعر الموضوع، على ما كان من الدكتور أحمد سليم غانم [مجلة معهد المخطوطات مج ٤٧، ج٢ (٢٠٠٣م) ص ٥٣-٩٤].

وثمة ملاحظات ظهرت من تحليل اتجاهات التجديد الجزئي في التنظير لعلم تحقيق النصوص التراثية في التقاليد العربية المعاصرة، نجملها فيما يلي:

أولًا: سطوة المنجز المشرقي على اتجاهات التأليف التجديدية الجزئية، وتعيينًا في مصر، وبدرجة أقل في العراق، وبدرجة تالية في الجزيرة العربية، وبدرجة أخيرة في المغرب العربي.

ثانيًا: غلبة صدور المنجز التأليفي في هذا المجال من جانب المشتغلين بالتحقيق، ثم المشتغلين بالدراسات التراثية، ثم المشتغلين بالعلوم اللسانية العربية تعيينًا، من دون أن ننفي سهمة نفر من المشتغلين بغير هذه الدوائر المعرفية الثلاثة، ولكن بصورة نادرة.

ثالثًا: ظهور استثمار من الدراسات اللاحقة لما سبقه، وهو ما يصنع تراكمًا معرفيًّا لمعلومات كل اتجاه تجديدي جزئي من جانب، ويضبط ما يتوصل إليه المنظرون؛ بسبب المراجعات العلمية النقدية التي يجريها أصحاب المنجز اللاحق لمنجز السابقين عليهم.

٢,٢,٢/٢

اتجاه التجديد والإحياء الكلي (المستوعب)

في التأليف في علم تحقيق النصوص في التقاليد العربية المعاصرة

ظهرت أدبيات عربية معاصرة، استهدفت نوع تجديد كلي مستوعب لأصول علم تحقيق النصوص وقواعده وعملياته وإجراءاته، وقد أمكن تمييز أربعة اتجاهات تجديدية مستوعبة، هي:

أولًا: اتجاه التأصيل أو التجذير.

ثانيًا: اتجاه التنظيم أو التأطير.

ثالثًا: اتجاه التفصيل أو التكميل.

رابعًا: اتجاه المقارنة ورصد التطور.

خامسًا: اتجاه التقييس والتنسيق.

وفيما يلي تحليل لهذه الاتجاهات، واستقراء لأدبياتها المؤسسة.

(أولا) اتجاه التأصيل / أو التجذير في التأليف التجديدي الكلي في علم تحقيق النصوص في التقاليد العربية المعاصرة:

يبدو أن البداية المعاصرة لعلم تحقيق النصوص في الثقافة العربية -المتأثرة بما سبق إليه الغرب، وانتقل إليها في سياق عمل التراجمة المعاصرين، الذين ترجموا الفيلولوجيا، والذين احتكوا احتكاكًا مباشرًا بأعمال المستشرقين ومؤتمراتهم- حفزت نفرًا من المنظرين العرب إلى البحث عن جذور هذا العلم، وأصوله الأولى في التراث العربي، ولا سيما في كتابات المحدثين المسلمين التي وصلت إلينا في مؤلفات أصول الحديث، وبدرجة أقل في المؤلفات التاريخية التي اهتمت بتحقيق الروايات والأخبار.

ويظهر في هذا السياق عدد من الأدبيات العربية المعاصرة، تغيت -بشكل أساسي- تأصيل قواعد علم تحقيق النصوص، واستحياء أدبياته التراثية، واستحياء نماذجه التطبيقية، وإعادة الحياة لجهازه الاصطلاحي، ومن أبرز هذه الأدبيات ما يلي:

أ. ١٩٨٦م: مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، للدكتور رمضان عبد التواب [مكتبة الخانجي، القاهرة]، يقول (ص ٣): "يظن بعض الباحثين المحدثين من العرب أن فن تحقيق النصوص فن حديث، ابتدعه المعاصرون من المحققين العرب، أو استقوه من المستشرقين الذين سبقونا في العصر الحاضر بعض الوقت في تحقيق شيء من تراثنا، ونشره بين الناس. ولكن الحقيقة بخلاف ذلك؛ فقد قام فن تحقيق النصوص عند العرب مع فجر التاريخ الإسلامي، وكان لعلماء الحديث اليد الطولى في إرساء قواعد هذا الفن في تراثنا ... وإن كثيرًا مما نقوم به اليوم من خطوات في فن تحقيق النصوص ونشرها -بدءًا بجمع المخطوطات والمقابلة بينها، ومرورًا بضبط عباراتها وتخريج نصوصها، وانتهاء بفهرسة (تكشيف) محتوياتها- لما سبقنا به أسلافنا العظام من علماء العربية الخالدة".

ب. ٢٠٠٥م: تأصيل قواعد تحقيق النصوص عند العلماء العرب المسلمين (جهود المحدثين في أصول تدوين النصوص، للدكتور محمود المصري [مجلة معهد المخطوطات، مج ٤٩، ج١؛ ٢، ص ص ٣٥-٦٦]؛ يقول (ص ٣٥): "إن المفهوم الذي ينطوي عليه ما نسميه اليوم علم تحقيق المخطوطات، قد عمل بأصوله العرب المسلمون عند تدوينهم القرآن الكريم والسنة الشريفة منذ عهد النبي ﷺ، ثم دونوا هذا العلم وقعدوه بشكل ناضج في تصانيفهم المتعلقة بعلوم الحديث"!.

وتبدو الأدبيات في هذا الاتجاه مخلصة للوفاء لمنجز العلماء المسلمين، الذين سبقوا إلى تأسيس قواعد علم تحقيق النصوص. وهو الأمر الذي سبق الإقرار به الدكتور أسد رستم في كتاب مصطلح التاريخ.

وقد أسهمت هذه الأدبيات –فيما نتصور– في الإسراع بتوطين قواعد هذا العلم في الثقافة العربية المعاصرة؛ بسبب مما خلقته من تهيئة عقلية ووجدانية نحو أصول هذا العلم، وأسهمت في تذليل عقباته، وانتشار الأعمال الداعمة لاستمراره.

وهاتان المحاولتان يمكن الزيادة عليهما، ولكنهما أكمل محاولتين في هذا الاتجاه[٧].

(ثانيًا) اتجاه التنظيم والتأطير في التأليف التجديدي الكلي في علم تحقيق النصوص في الثقافة العربية المعاصرة:

ظهر منذ فترة مبكرة –بعد جيل التأسيس والريادة العربية المعاصرة– نزوع نحو إرادة تنظيم قواعد هذا العلم، ووصفها في صورة تسهل التعامل معها، والتأتي لها.

وقد أمكن رصد محاولتين استهدفتا هذا التنظيم والتأطير، وإن تفاوتت درجات ظهور هذا منها؛ وهي كما يلي:

أ. اتجاه التنظيم والتأطير من منظور العمليات المتمايزة.

وقد مثل هذا الاتجاه محاولة الدكتوره (بنت الشاطئ) عائشة عبد الرحمن في كتابها مقدمة في المنهج (ص ١١٣ – ١٢٨) [القاهرة ١٩٧١م] تنظيم العمليات في ثلاث عمليات، هي:

١. توثيق المخطوطات والمصادر.
٢. تحقيق المتن.
٣. دراسة النص.

ويبدو أن هذه المحاولة التنظيمية –وإن بدا عليها الاجتهاد الذاتي– قد تأثرت ببعض المعلومات التي تسربت من التقاليد الاستشراقية، التي تقسم عمليات التحقيق قسمين، هما: التحقيق الابتدائي، والتحقيق النهائي، وهو التقسيم الذي تعزوه المصادر إلى الفيلولوجي الألماني: كارل لخمان(٨).

ثم جاءت محاولة أخرى أكثر تفصيلًا، تمثلت في كتاب الدكتور فخر الدين قباوة: علم التحقيق للمخطوطات العربية: بحث تأسيسي للتأصيل [حلب، سوريا ٢٠٠٥م]. وقد سار في تنظيم قواعد العلم على منهج العمليات كما يلي:

١. أصول التحقيق النظري، وهي الأصول المتضمنة لاختيار النص وترتيب نسخه وتوثيق عنوانه، ونسبته إلى مؤلفه.

٢. أصول التحقيق العملي، وهي الأصول التي تضمنت نقل النص (= النسخ) والمقابلة، وتثبيت النص وترميمه.

٣. عمليات متممات التحقيق، وتضمنت بيان مصادره وإنجازها، والتعليقات الهامشية وصناعة الفهارس (الكشافات)، ودراسة النص أو صناعة المقدمة.

وما قررناه في حق محاولة الدكتوره عائشة عبد الرحمن يصح هنا، وهو هنا أوضح؛ فتقسيم أصول التحقيق على نمطين هو تأثر، وإن يكن غير مباشر بتقسيم كارل لخمان لها على قسمين؛ ابتدائي ونهائي.

ب. اتجاه التنظيم والتأطير من منظور المراحل (اتجاه الدليل)، وقد مثل هذا الاتجاه كتاب الدكتور عبد الله عبد الرحيم عسيلان: تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل [الرياض ١٩٩٤م].

وهو اتجاه استلهم منهج الدليل العملي، فقسم كتابه سبع مراحل، هي:

- مرحلة اختيار النسخ ودراستها.

- مرحلة نسخ المخطوطة.
- مرحلة المقابلة.
- مرحلة التصحيح وتحرير النص وتقويمه.
- مرحلة التعليق وتخريج النصوص.
- مرحلة مقدمة التحقيق.
- مرحلة الفهارس (التكشيف).

ويبدو أن هذا الاتجاه ناتج رعاية، تستهدف تيسير تعليم قواعد علم تحقيق النصوص، والتدريب على العمل في ميدانه، وها هو ذا يقول (ص ١٦): "وقد بذلنا في الحديث عن النهج الأمثل في التحقيق ما وسعني من الاجتهاد (مستهدفًا) ... تنسيق قواعد المنهج بشكل ييسر الإفادة منها، وهذا الذي يقرره كان سببه ما وقف عليه من ملامح التشويش التي تورطت فيها بعض أدبيات هذا العلم في التقاليد العربية المعاصرة.

(ثالثًا) اتجاه التفصيل والتكميل في التأليف التجديدي الكلي في علم تحقيق النصوص في التقاليد العربية المعاصرة:

كان ظهور اتجاهات استقلال التأليف في عدد من تقنيات تحقيق النصوص وعملياته -كما ظهر في بيان اتجاهات التجديد الجزئي- دافعًا لمحاولات قليلة، استهدفت التوجه إلى التقنيات والعمليات المعتمة في أدبيات جيل التأسيس وأدبيات الأجيال التي تلته، بقدر من التفصيل والتكميل، سعت لخلق العناصر الصغرى لتتميم عمل السابقين، الذين لم يمنحوا هذه المسائل عنايتهم؛ في ظل انشغالهم بالبناء العام لقواعد العلم وأصوله.

وممن تنبه لهذا الاتجاه كتاب: أنشودة المتن والهامش: نحو إحياء جديد لعلم تحقيق النصوص التراثية، للدكتور خالد فهمي [دار النشر للجامعات، القاهرة ٢٠١٥م]، يقول في مقدمته، كاشفًا عن دوافع تأليفه (ص ٢٩: "وقد هيمن على أدبيات علمي تحقيق النصوص، ونقد التحقيق -إلى اليوم- نوع إجمال، لا يفصل الأصول ولا يفرع القول فيها، وهيمن عليها كذلك اعتماد اللاحق على عمل السابق، فشاع استنساخ عمل الرواد، وإعادة تنظيمه في عمل المتأخرين، بغير زيادة ولا تعميق في الغالب.

وهو الأمر الذي يفرض ضرورة الدعوة لإعادة الإحياء الجديد لعلم تحقيق النصوص، وعلم نقد التحقيق في العصر الحديث؛ يكون من شأنه توسيع القول في أصول هذين العلمين، ومراجعة منجز جيل الرواد، وتقييمه، وتجديد تنظيم المبادئ والقواعد الحاكمة فيهما".

وهذا النص صريح واضح في وعي صاحبه بطبيعة الاتجاه التجديدي في التأليف في علم تحقيق النصوص الذي يختطه لنفسه بكتابه.

وقد انطلق فيه من أساس نظري، يقرر أن "الإحياء الجديد لعلم تحقيق النصوص التراثية في العصر الحديث ضرورة معرفية وحضارية" [ص ٦٧].

(رابعًا) اتجاه المقارنة ورصد التطور في التأليف التجديدي الكلي في علم تحقيق النصوص التراثية في التقاليد العربية المعاصرة:

مثلما كان تمثيل الأدبيات في الاتجاه السابق مباشرة قليلًا، فإن تمثيل الأدبيات في هذا الاتجاه قليل كذلك؛ فقد ظهرت ثلاثة أنواع من الأدبيات داخل هذا الاتجاه، هي:

أ. اتجاه المقارنة بين منجز القدامى والمحدثين، في أصول العلم وقواعد وإجراءاته، وهو ما تمثل في كتاب الدكتور رمضان عبد التواب: مناهج تحقيق

التراث بين القدامى والمحدثين، وهي مقارنة لم تكن مقصودة لذاتها، بقدر ما كانت مقصودة لتأصيل قواعد العلم، والرد على من يرى نشأته المعاصرة والمقطوعة الصلة بالعلم عند المسلمين في تراثهم!

ب. اتجاه المقارنة بين تناول الأدبيات المعاصرة للتقنية الواحدة أو العملية الواحدة أو الإجراء الواحد، وهو ما تمثل فيما كان يصنعه كتاب الدكتور خالد فهمي في كتابه (أنشودة المتن والهامش! نحو إحياء جديد لعلم تحقيق النصوص التراثية)؛ فقد التزم في كل قضية يفصل القول في عناصرها ومبادئها، أن يفتتح القول فيها بعرض آراء كل الأدبيات السابقة عليها في التقليدين؛ الاستشراقي والعربي جميعًا.

وقد حرص أن يحقق هذه المقارنة، من خلال استقصاء ما ورد في الأدبيات التي سبقته حول كل تقنية تناولها بالتفصيل والتكميل.

ج. اتجاه المقارنة بين التقاليد الاستشراقية والتقاليد العربية المعاصرة في قسمين منفصلين، وهو ما يمثله كتاب (تحقيق التراث: منهجه وتطوره).

وقد تميزت هذه المحاولة برصد تطور العناية بتحقيق النصوص في العصر الحديث، وهو الأمر الذي جعلها تمثل اتجاهًا فرعيًّا يعتمد المقارنة، كما يعتمد رصد التطور الذي حققته مناهج المعاصرين من الأفراد والمؤسسات معًا.

(خامسًا) اتجاه التقييس والتنسيق في التأليف التجديدي الكلي في علم تحقيق النصوص التراثية:

فكرة تأسيس لجان أو جمعيات تنهض بوضع منهج مدون في تحقيق النصوص التراثية = فكرة حديثة في الغرب والشرق معًا.

وما يثير الانتباه في هذا المجال هو الهدف -إخراج النصوص المحققة الكبيرة الحجوم، التي يعمل على تحقيقها فرق كبيرة من المحققين- وقد خضعت لمعايير واحدة، وبروح تنسيقية واحدة، ولذلك أطلقنا على أدبيات هذا الاتجاه اسم: التقييس والتنسيق.

ومما ظهر من الأدبيات -سعيًا لتحقيق هذه الغاية- ما يلي:

١. ١٩٥١م: القواعد العامة لتحقيق مجلدات التاريخ، وهي مقدمة تحقيق تاريخ مدينة دمشق، كما جاء في مقدمة الدكتور صلاح الدين المنجد، لكتابه (قواعد تحقيق المخطوطات) [ص ٩].

٢. ١٩٨٠م: أسس تحقيق التراث العربي ومناهجه، وهي نص التقرير الذي وضعته لجنة مختصة في بغداد سنة ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.

٣. ١٩٩٥م: القواعد العامة لتحقيق النصوص، وهو الكتيب الذي وضعته لجنة إحياء التراث الإسلامي، بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، بوزارة الأوقاف المصرية.

٤. ٢٠١٤م: أسس تحقيق المتون، وهي كراسة وضعتها لجنة لضبط العمل في النصوص التي ستنشر من قبل مركز البحوث الإسلامية [إيسام، إسطنبول، تركيا].

ومما يلحظ على هذه المحاولات أو الأدبيات ما يلي:

أولًا: الإيجاز والاختصار.

ثانيًا: اتجاه الغاية في إرادة تحقيق حد متفق عليه من المعايير الواحدة؛ لكي تخرج الأعمال المحققة -ولا سيما- الكبيرة متسقة في منهج تحقيقها عند تنوع المحققين.

ثالثًا: صدورها عن مؤسسات وجمعيات ولجان.

وهي -بلا شك- متأثرة بعمل استشراقي سابق، طبقته جمعيات غربية معنية بتحقيق النصوص العربية ونشرها، هي:

أ- جمعية المستشرقين الألمان DMG في نشراتها الإسلامية.

ب- جمعية غيوم بوده Association Guillaume Bude في فرنسا، وقد طبعت قواعد الجمعية الأخيرة سنة ١٩٤٥م في باريس(٩).

وهذه الأدبيات -التي تشكل اتجاهًا تجديديًّا يستهدف تقييس الأعمال المحققة التي تصدرها مؤسسات معنية بنشر التراث العربي- تمثل اتجاهًا مهمًّا للغاية، ولا سيما في ظل حالة من الاضطراب والتشويش تضرب العمل في هذا المجال، وربما أسهمت -مع مرور الوقت- في تقليل نتائج هذا الاضطراب، وآثاره السلبية.

خاتمة:

جاءت هذه الدراسة سعيًا لرسم خريطة عامة وتفصيلية، تعكس طبوغرافية التنظير في علم تحقيق النصوص في الثقافة العربية المعاصرة.

وقد سعت لإنجاز هدفها في مسارين، هما:

أولًا: رسم خرائط إدراكية أو معرفية للاتجاهات التأليفية التي سارت فيها أدبيات تحقيق النصوص التراثية في الثقافة العربية المعاصرة، بدءًا من جيل الرواد إلى الأجيال التي تنبهت لمطالب الإحياء الجديد للكتابة في أصول العلم وقواعده وتقنياته وإجراءاته.

ثانيًا: حاولت استقراء الاتجاهات والأدبيات المندرجة تحت كل اتجاه، وكان مما توصلت إليه من نتائج ماثلة فيما يلي:

١. رسم خمس خرائط معرفية إدراكية، تعكس واقع اتجاهات التأليف في علم تحقيق النصوص في التقاليد العربية المعاصرة.

٢. كشفت الدراسة عن تنوع في الاتجاهات التجديدية الجزئية والكلية.

٣. كشفت عن بدء انحسار الأدبيات الاجترارية الاستنساخية لأعمال جيل التأسيس.

٤. اجتهدت في حسم الجدل حول الميلاد الأول لأدبيات التأليف في علم تحقيق النصوص في جيل التأسيس، وحصرته في:

أ. عبد الرحمن بن يحيى المعلمي (بإطلاق)، عند اشتراط اللسان والجنسية.

ب. عبد السلام هارون (بإطلاق)، عند اشتراط الوفاء بالتمام في الكتابة عن أصول العلم وقواعده مع اللسان والجنسية.

ج. براجشتراسر (بإطلاق)، عند اشتراط اللسان العربي وحده في التأليف.

٥. كشفت الدراسة عن تنوع اتجاهات التأليف الإحيائي الجزئي، وإفرازه الاتجاهات الفرعية التالية:

أ. اتجاهات التجديد على مستوى الأجناس (القولية/ والحقول المعرفية).

ب. اتجاهات التجديد على مستوى الوعي بمنازل التقنيات وأوزانها النسبية.

٦. كشفت الدراسة عن تنوع اتجاهات التأليف الإحيائي الكلي، وتوزعه على خمسة اتجاهات فرعية منضوية، هي:

أ. اتجاه التأصيل والتجذير.

ب. اتجاه التنظيم والتأطير.

ج. اتجاه التفصيل والتكميل.

د. اتجاه المقارنة ورصد التطور.

هـ. اتجاه التقييس والتنسيق.

٧. كشفت الدراسة عن حضور متفاوت للحواضر العربية التي أسهمت في تجديد التأليف في علم تحقيق النصوص التراثية، وهو ما يمكن ظهوره في الترتيب التالي:

أ. مصر.

ب. العراق.

ج. الشام (سوريا).

د. المملكة العربية السعودية.

هـ. فلسطين.

أما المغرب العربي فقد جاء بعد هذه القائمة المشرقية، وكانت سهمة المغرب هي الوحيدة الظاهرة في نطاق التأليف التجديدي، وإن كان ثمة محاولات اجترارية تقليدية لأغراض تعليمية في عدد آخر من بلدان المشرق والمغرب، كلبنان وليبيا، وغيرهما.

هوامش البحث:

١- انظر: أنشودة المتن والهامش! نحو إحياء جديد لعلم تحقيق النصوص التراثية، للدكتور خالد فهمي، تحرير: هالة القاضي، دار النشر للجامعات، القاهرة ٢٠١٥م (ص ٧١).

٢- معجم الأدباء، لياقوت الحموي، بعناية مارجليوث، دار إحياء التراث العربي، مصورة الدار المأمون القاهرة ١٩٣٦م؛ وانظر: قيمة الزمن عند العلماء، للدكتور عبد الفتاح أبو غدة، دار السلام، القاهرة، ط (٤) سنة ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م (ص ١١٨)؛ فهو الذي دلني على هذا النص!

٣- انظر: منهج أحمد محمد شاكر في تحقيق النصوص، للدكتور أشرف عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، الكويت، ٢٠١٦م (ص ١١٣) فقرة (٦٤).

٤- مجموع رسائل في التحقيق وتصحيح النصوص، للمعلمي، تحقيق محمد أجمل الإصلاحي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة ١٤٣٤هـ.

٥- قواعد تحقيق المخطوطات، للدكتور صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت ط (٧) ١٩٨٧م.

٦- قاعة بحث في العمارة والفنون الإسلامية، للدكتور حسن باشا، دار النهضة العربية القاهرة ١٩٨٨م.

٧- يمكن إدراج كثير من الأدبيات التي خصصت فصولًا مستقلة لتأصيل قواعد علم تحقيق النصوص وتجذيرها في التراث العربي في هذا السياق، ومن هذه المحاولات كتاب الدكتور فخر الدين قباوة: علم التحقيق للمخطوطات العربية: بحث تأسيسي للتأصيل، دار الملتقى حلب، سوريا ٢٠٠٥م.

٨- انظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب (التحقيق الابتدائي؛ (٨٩) للدكتور مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت (ط٢) ١٩٨٤م.

٩- انظر: قواعد تحقيق المخطوطات للدكتور صلاح الدين المنجد، ص ٨، هـ١.

***